

وأصبحت مسافراً جديداً

وأصبحت مسافراً جديداً

حافظ الشيرازي



مع الرئيس كارتز قبل عام من الرحيل



الفلاحات الإيرانيات يترن الخور على الشهانو





الصورة الأخيرة - في الطريق إلى الطائرة التي أفلتها إلى خارج الوطن



وأصبحت مسافراً جديداً

ها قد مضى سبعة عشر عاماً وأن ملكة . مرت سريعاً حتى إنني لم أشعر بها ! ونجّلتني أني بالأمس فقط كنت الطالبة المشابة التي ضيها الماك نلزوج . وأول أمس تلك الفتاة الصغيرة التي تركض مريحة في شوارع طهران . الشغلت إلى حد أنه لم يبق لي حقيقة سوى دقائق معدودة عشها لنفسي خلال هذه الأعوام . تحسنت من مسئوليات الجسم كل يوم ما لم يتح لي ولو وقتاً قليلاً للنظر إلى الوراء قبل كتابة هذه المذكرات لتفكير والتأمل في التغييرات التي طرأت على حياتي والتركيز على ما كنته وما أصبحته .

لقد وهبت نفسي لمسئوليات اخترتها بمحض إرادتي وحاولت أن أصطاع بها على الوجه الأكمل . وأصبح لي دور يعترف به العالم في مسيرة إيران نحو التقدم . وحين الوقت لأسأل نفسي فعلاً :

« هل فعلت كل ذلك بدافع من نفسي أو لكوني ملكة ؟ »

قطعاً فعلت كل ذلك من أجل الأمرين . ولكنني أعتقد أن الواجب غالباً ما يأتي قبل الحياة الشخصية . كما أن في داخلي تقع أقصى درجات الرغبة في نفع الآخرين وخدمة وطني : فالترخي والكسل أبعد ما يكونان عن طبيعتي . وإذا أحسست بها يوماً فإن أستطيع الحياة أبداً .

ولو كان قدرى أكثر تواضعاً لكنت عملة يجد وخدمت بالحماس نفسه . لأن هذه طبيعتي . ولكنني كنت ساجد وقتاً أكثر لنفسي . وإلا فما فائدة الحياة إذا لم تحدد لأنفسنا هدفاً نحققه أو على الأقل نبدل من أجده أقصى الجهد ؟

بالنسبة لي شاء حظي ألا تورقني المشاكل المادية . لهذا كان طبعياً أن ينصرف اهتمامي الحقيقي لأشياء أخرى . وأخذت على عاتقي محاولة تحقيق أهداف إيران في التقدم والرفق ..

«أينما زرعت حاول أن تثمر» عبارة قرأتها يوماً وأعجبتني . إن وضعي كمسألة يمنحني السلطة التي تمنح لي أن أكون ذات فائدة ونفع حتى لو كان إمكان مبادرتي محدوداً في بعض المجالات فإنني أحاول التوسط لتحقيق رغبات وأحلام الآخرين .

ولا أستطيع معرفة كل ما يجري في إيران . ولكن إذا عرضت على فكرة جيدة ووجدتها تستحق التنفيذ عطي إشارة البدء وأحاول تجنب جميع التعقيدات البيروقراطية التي تعوقها بشئ الوسائل . وإنني لأقول بكل فخر : إنني استطعت فعلاً توفير سرعة إنجاز بعض المشروعات التي ما كانت لتبدأً لولاى .

أما واجبي كزوجة لملك فهو محاولة خلق مناخ سعيد ومريح من حوله بقدر الإمكان . والتفادي من تراكم المشاكل وأهموم العائلة مع مشاكل الدولة الكثيرة . لأن مهمتي كزوجة تكون في توفير راحته واسترخائه بعيداً عن التوتر والقلق ..

كما أنني أعاونه في المجالات التي لا يتيح له وقته الاهتمام بها شخصياً . وهي التعليم والثقافة والصحة والشئون الاجتماعية .

السياسة هي مجاله الخاص بالطبع . ولكنها أصبحت مع الوقت تدخل في الكثير من اختصاصاتي .

ومسئولياتي على ضخماتها . لا يجب أن تنسني أنني أم لأربعة أبناء على أن أحيطهم بكل حبي وحناني ورعايتي لتعليمهم وخاصة ولي العهد رضا . .

كم أنني أشعر أنني أم لكل الإيرانيين وسوف يظل قبي دائماً مفتوحاً لكل المشاكل . وتظل أذنانى مستعدتين للاستماع لكل من يلجأ إلى : فقراء أو أغنياء . متعلمين أو أميين .

وأنا أعرف أن الاهتمام الذى أحظى به سببه الملك . وأن السلطات التى بين يدى مستمدة منه ، ولقد اعتدت قبل اتخاذ أى قرار هام أن أطلع عليه أولاً مع عرض ملحوظاتى واقتراحاتى :

أحياناً تختلف فى الرأى وتبدأ فى النقاش . أحياناً يقنعنى أو أقنعه . وأحياناً لا يتمكن أحدنا من إقناع الآخر . وأنا حساسة جداً لبعض الأمور . أحياناً تصل شدة حماسى لبعض المشاكل إلى حد التجرد من كل شىء لأصبح المحامى المتعصب لقضية مست شغاف قلبه فأنتقد وأتذمر ويستخدم النقاش . ودائماً يعتب على الملك طريقة تناولى للمشاكل باعتبارها مسألة حياة أو موت . وهذا لا يعجبه كثيراً ومن ثم لا يساعدى . ولكننى اليوم تعلمت كيف أحادثه بهدوء ككائن مسئول وذكى . فإذا افتتح برأى أصدر الأوامر اللازمة لحل المشكلة ولكننى لا أراه كثيراً مع الأسف . فالفطور يلتهمه فى ربع ساعة وأحياناً كثيرة يفرغ من طعامه حينما أهم بالجلوس إلى المائدة . ثم ينصرف لأداء مسؤولياته . وحينما يعود من مكتبه يكون أمانته أكادس من الجرائد ليقرأها : أما العشاء فتتناوله كأسرة . ولا يكون الوقت مناسباً للحديث فى شئون الدولة . وأحياناً يلعب البريدج بعد العشاء . على حين أتوجه أنا لمكتبى لتنظيم أوراقى والتحضير لليوم التالى . وفى النهاية أحاول اختصار لحظات فراغه من النهار وهى نادرة لإطلاعهم على سير أعمالى .

فى بلد لم تكن للمرأة فيه مكانة ولا قوة ولا أية إمكان للمشاركة . كان واجبى كزوجة للملك أن أعطى المثل والقُدوة والاضطلاع بأعباء

الزوجة والأم والمسئولة . كما يجب على أن أثبت أن المرأة تستطيع أيضاً أن تكون مسئولة عن أعمال أخرى خارج منزلها . وأنه من أكبر الخطأ تقسيم النساء إلى فئتين : فئة المثقفات العاملات . وفئة الأميات ربات البيوت . فمن الناحية استفيد كل نساء إيران . وعملي يستهدف منحهن الشجاعة ثم الارتقاء بهن وإخراجهن من الظلمات .

من الناحية القانونية أنا أهم امرأة في إيران . وبالرغم من ذلك لا أعد نفسي مهمة بصفة خاصة . واعتقد أن أهمي تقاس بما أحققه وبما أقوله . . . كاهن وأفكرى ذات قيسة وإذا كانت تسمع فلأن من ورائي سلطة الملك . . وأنا لا أنسى أبداً أن وضعي مفروض الحساسية والدقة لأنني امرأة في مجتمع شرق شديد التسك بالتقاليد . حيث نسبة كبيرة من رجاله لم تصل بعد إلى المستوى الذهن والثقافي الذي يتيح للرجل أن يقبل دون شروط مزيداً من الحريات للمرأة . وأنا التي أمثل تحرر المرأة في إيران سوء شئت ذلك أو أبيت . فتتولى والسلطة التي أمارسها سوف تنتقل برسيلة م لبقية الإيرانيات . . هؤلاء النساء اللاتي كان الرجل يعدهن سلعة يحرم عليها الكلام أصبحت هن كلمة مسموعة يصغى إليهن باهتمام . وبعد أن منحهن الملك حق الانتخاب بدأ التغيير يشق طريقه إلى العقول . ولكن مازالت بعض المقاضعات لا تقبل مثل هذه الحقوق . وهنا يأتي واجبنا في التأثير على خيائهم بكل الوسائل الممكنة .

وبالرغم من الظلم الاجتماعي الذي عانت منه طويلاً تجددها مازالت تتصف بشخصية قوية حتى لو لم تظهر بصورة مباشرة . أحسها من أناقها ومن انسياب خطواتها . وانتصاب قامته الشعب هو المقياس الحقيقي للتطور . وهكذا أقبس مدى تطور إيران : فقبلاً كانوا مترخين مقومى الظاهر منكسي الرأس . أما اليوم فهم يحضون معتدلى قامته عيونهم نقطة ووجوههم مشرقة .

المرأة الإيرانية تفيض رقة وحناناً وطيبة إلى جانب كرم الضيافة لمعهود .
ولكنني أصليها بالحفاظ على أنوثتها . فدائم إذا ذكرت المرأة لعمامة تبادر إلى
أذهن تفكيراً امرأة تحولت إلى رجل . وهذا سخف وعيب لامعقول . والمرأة
تستطيع المحافظة على جاذبيتها وهي تعمل . كما تستطيع العناية بزيئها وهداياها
بالرغم من كونها صانعة قرار .

فالمعلم لا يمنع العناية بالمظهر . وقد عني الزمان على تلك الأخطاء البالية التي
تعد المرأة الأنثى الأنيقة كدمية جسيمة . والمرأة لعمامة النشيطة ذات الإرادة
كرجل .

وعندما قررت دراسة الهندسة المعمارية خيل لمن حوى أنني سأعود إليهم بعد
وقت قصير بملايس دأكنة النون وشعر مرموم ليخف ونظارات سمكة . قطعاً
المرأة التي تعمل لأجل الوقت تكافئ لعناية بنفسها مثل ربة البيت . ولكنها مع
الوقت تتعلم كيف تنسق حياتها .

وبالرغم من حرمانها من كثير من حقوقها والفلاحة الإيرانية تواجه خشونة
الحياة وقسوة العمل . فهي تشارك بالعمل في الأرض وتزرع وتجمع وتقصد وفي
الوقت نفسه تهتم بالدر وتعد الطعام وترى الأطفال وتعتجن خبزاً وتجمع أوراق
نشا وتخب الماء وتطعم حيوانات وفي وقت فراغها تدار تسج السحاحيد
وتنظف لأفئدة .

وبالرغم من كل هذا لا توجد فلاحات لا يرتدين حتى أو تنظرن ثيابهن
بنفسهن .

أما البدوية فعندها أكثر قسوة ومشقة : فعاليها ما تقوم بنصب الخيام ويشتغل
البيزان وإعداد طعام كل أفراد القبيلة على حصي الصحراء . كما تغزل وتنسج
بالإضافة إلى أنها قناصة ماهرة وفارسة كبيرة . ومنذ أعوام قريبة كانت تمتطي

الجمال والجود وجنيتها في أحشائها حتى نحين ساعة انخفاض فتضع طفلها في أي ركن ثم تعمل بين ذراعيها وتمضي لتابعة الطريق على ظهر الجمل . إذا سارت نلت أنك أمام عارضة أزباء رشيقة ممشوقة القوام ترتدى أجمل الألوان وأبدعها . مثل تلك الصورة أبعد ما تكون عند المرأة الضعيفة الوجهة التي لا تعيش إلا من خلال رجلها .

وبالرغم من كل هذا يبقى الكثير تغيير العقليات . فمازالت بعض القبائل البدوية شديدة الصرامة إزاء المرأة تحظر عليها الحديث مع الرجال أو مبارحة الدار . ولكن بدأ بعض التغيير الطفيف والبطيء يظهر حتى بين المناطق التي أكثر تشدداً : فبعض الآباء بالرغم من معارضة كبار الأعمام يصرحون لبناهم بالالتحاق بمراكز التعليم الربوي . وهن من ثم يعدمن آباءهن القراءة وقيادة الجارات ..

إن التمييز الجنسي مازال موجوداً في كثير من دول العالم الثالث . وحين الوقت لتناضل من أجل القضاء على كل الفوارق التي بين المرأة والرجل . بين البنت والولد . بين الشاب والمسن . بين الفلاح وساكن المدينة . بين دولة وأخرى .

في إيران تعد الخدمة العامة واحدة من أفضل عوامل تحرر المرأة . وهن بالطبع لسن جنوداً ولاشأن لهن بالحرب . وإنما يمارسن الأعمال المكتبية وأصبحن يتعلمن الجودو والكاراتيه للدفاع عن أنفسهن ..

تبقى لنا بعض القوانين التي تحتاج إلى تغيير . ولكن يجب أن نتقدم ببطء ورقة حتى لا نصطدم بالتقاليد . أو نجنى آثاراً عكسية تشدنا إلى الوراء . فمثلاً لكي تسافر المرأة الإيرانية خارج وطنها يجب أن يوافق الزوج . لو ألغينا تلك القاعدة فعنى ذلك أننا نهمل مكانة الرجل . لأن المرأة التي تبغى السفر

حقيقة تجد دائماً الوسيلة لإقناع الزوج . ولكن الأخطر من ذلك هو القانون الصريح الذى يتراف بالرجل الذى يقتل زوجته فى حالة ضبطها متلبسة بجريمة الزنى . فى حين يحكم بالإعدام على جرائم أخرى .

وهذا نسق لا يمكن قبوله . لأن معناه أننا نعرف بأن هناك حالات يحق لنا الحكم فيها بأنفسنا . وإذا طرحنا هذا القانون للمناقشة العامة الصريحة فسيظن الرأى العام الذى مازال أغلبه تقليدياً أننا نريد إباحة الزنى . مما قد يسفر عن معارضة عامة وتمرد عنيف . وربما تكون نتيجة إغلاق الباب على المرأة أكثر من ذى قبل . لهذا يجب أن نتقدم بكثير من الفطنة والحذر والتخطيط المتأن ليُدرك الجميع أن القانون لا يفرق بين رجل قتل زوجته دفاعاً عن كبرائه وغطرسته ورجل قتل جاره لسرقه . حتى نضمن عدم إحباط المكتسبات الهائلة التى حصت عليها المرأة .

واليوم عندما نتحدث عن الملوك والملكات تتبادر إلى الذهن مباشرة صورة القصور والعربات الفخمة التى تجرها الخيول . تلك الأزمان الغابرة التى انعدم فيها النشاط الاجتماعى ..

وينساءل بعض كيف أكون منكة وأهتم بالشعب . وأعمل بنشاط من أجل رفاهية وطنى ؟

فمازالت ترسخ فى الأذهان الصورة الأسطورية للملكة أو الأميرة المنعمة التى تقطن القصر الفخم لا يشغلها سوى وضع التاج الماسى على رأسها وتبديل الفساتين الأنيقة وارتداء الحفلات الراقية .

ولا يصلق الناس أننا بشر وأننا كبقية البشر لنا مشاعر وأحاسيس ومشاكل . فالشعب يحرص أكثر منا على قواعد البروتوكول وعظمة الملكية . وفى مقابل ذلك ينتظر منا أن نشعر بمناخه وأن نضحك لسعادته ونبكي لآلامه .

بشر وفوق مستوى البشر حيالاً . ولكن إذا علموا أنني أعمل كل يوم وتواجهني الصعاب مثلهم فربما عتَبوا على في أعماقهم أنني لأشبه في شيء قصص ألف ليلة وليلة التي تداعب خيالاتهم . وتلك هي الحقيقة فليس بي أي ميل خاص لنهوء أو المتعة . وأغلب وقتي يمضي في العمل المصني .

وإذا أراد أحد أن يبحث عن عنوان مناسب لقصة حياتي يلائم الأساطير القديمة فسيكون أفضل عنوان هو (ألف يوم ويوم) ولايهم ما تنسجه الخيالات عن ممالك الشرق الغابرة . فلم تعد عندنا صناديق تغص بالخناجر الذهبية ولا خفاء ولا كبار ورءاء ولا حرم . وسجاجيدنا لم تعد تطير إلا داخل مخازن الطائرات الإيرانية . . .

هذا تغير الصورة الخاطئة المسبقة التي يحملها الزائر قبل أن يأتي إلى بلادنا كما يفاجأ بعض بعد مقابلي والحدوث معي ويكون تعليقهم الأساسي على « كم هي طيبة ! كم هي إنسانية !!! » لأنهم لم يتصوروا أن هذه هي الحقيقة .

وبعد كل هذه الأعوام وبعد كل الزيارات والأحداث واللقاءات لا بد أن أوفر دائماً الوقت لاستقبال الجميع لأثبت لهم أن الملكة إنسان وذا قلب . فلا أحد يصدق ذلك . .

ربما تكون هذه الصورة الخاطئة عن الملكة مصدرها البيروتوكول . وهذا جزء من التقاليد علينا أن نحترمه . وبالطبع هناك من لا يزال يحب رؤية الملكة بملابسهم الرسمية والمملكات يتيجانهن المرصعة لأن هذا يرضي خيافهم . ولكن ليست مهمتي إرضاء خيال الناس . ولكنني أطوع نفسي تبعاً لظروفي .

حينما سافرت إلى الولايات المتحدة كان حديثهم المأثور دائماً « جواهر الملكة » ولكن هذه الجواهر مثل أي زى رسمي ويجب على أن ارتديها . .

وليست ملكي ولن تكون من نصيبي يوماً . وهي مودعة في أغلب الأوقات

في أحد أسبوك لأهل أرمول مدونة وترتها القديمي .
تصل إلى خصائص غريبة بشأن هذه الجواهر على غرار : «يا كذبة جواهرك
المرصعة على الأريائك ! هل لك أن تبعثي إلى بقطعة صغيرة من الماس لوافر ؟»
مثل هؤلاء لا يعرفون أن هذه الأحجار اللامعة التي حيكت بدقة على ملابسهم
ليست جواهر حقيقية . وإنما عقيدتنا الشرقية تأتي أن تصدق أنها مزيفة وأن هذا
تقليد متقن .

قالت لي وصيفتي ذات يوم : « من وراء ظهرك في فصل المدرسة كانت
هناك طابعتان يتحدثان عنك . » وقالت : « إنك تستحمين في النين مرتين في
اليوم . حسنا من مازلت صغيرات السن تطيب هن القصص الخيالية عن
الملكة . ولكن ما أدهشني حقاً هو تكرار السؤال نفسه من العديد من
الصحفيين : « هل حق تستحمين في النين كل يوم مثل كليبواترة ؟ »
مسكية كليبواترة ربما لم تستحم في النين قط .

يرجع هذا بالتأكيد إلى أنني لا ألتقط صورياً أبداً في أثناء ممارسة عملي
الحقيقي . الصور الوحيدة التي تظهرني في أي مكان هي تلك التي أبدت فيها على
أحسن صورة . أو الصور التي ارتدت فيها مجوهرات التاج ومع الأسف الشديد
يحكم ٩٩ من الناس على الظواهر فقط . ولا أحد يكلف نفسه عناء السؤال :
ونكن كيف تبدو هذه المرأة في داخلها ؟ ثم يضيف للكثيرين نشر صوري بجانب
فلاحة معدمة بالرغم من أن الفقر ظاهرة في أكثر دول العالم تقدماً .

هذه لأسباب حسية بدأت أمتنع عن ارتداء تاج شبه فشيء ولا ارتديته
اليوم إلا بمناسبة لعمد حبيب أروى أثناء افتتاح ليرمان . وأحياناً قبيلة عندما
نستقبل رؤساء حكومات أو حيناً أسافر إلى دولة ملكية خشية أن يظن أحد أنني
أريد التميز . كما لو أنني كنت أقول لهم : « إن ما أفعله خير مما يفعله غيري . »

وكل هذا قبل الأهمية وأعترف أنني أعرف مما أسمعته وما أشعر به أن الشعب يمكن أن يحباً عميقاً وهذه هي أقصى سعادة وأجل رضا . وأعتقد أن هناك تياراً كهربياً يصل كلاً منا بالآخر . أو نوعاً من الاتصال السري بيني وبين الشعب . بالرغم من أنه لا يستطيع متابعة كل أعمالى : كما لا يستطيع أن يصل إلى ثنانيا قلبي وعقلي . وما يؤثر في وجدان الجماهير أكثر من المشروعات الضخمة هو اللقاءات الإنسانية الصغيرة مثل زيارتي لمرضى الجذام أو قبلة أطعها على وجه فلاحه عذبة . كما أعتقد أنهم يحبوني بصفة خاصة لأنني عشت معهم وأفهمهم أكثر . كما أعترف أيضاً أنني كنت محبطة لأنني صرت منكبة في اللحظة التي بدأ فيها أحسن الأمور . وكما يقولون في إيران حيث لهذه الأهمية القصوى : إنني جلست معي لأمر . وكتب أحدهم علي يقول :

«بينما ينهم المثلث بالناتج القومي الصافي تكلفت الملكة بالسعادة القومية الصافية ! وجدت هذا التلاعب اللغوي بديعاً لأن الأمة لاتعد متقدمة إلا إذا راعت أقصى درجات الانسجام بين التقدم والسعادة . لأن الاهتمام بالكم على حساب الكيف في الحياة لا يسوى شيئاً .

ومن ليوم حتى اثني عشر عاماً إذا شاء الله سيصبح ابني منكاً وسوف يتزل أبوه عن العرش . كما قال : لبوليه إياه . وسوف يتزوج وتخل منكاة أخرى حينئذ تقل أعمالى ويتقدم في العمر وأصبح أكثر إحساساً بالتعب والإنهاك . ولكنني أعتقد أن الأمور ستمضي من تلقاء نفسها بعد أن تنوى شابات اليوم التبعة . يرميها سأجد وقتاً أكثر لنفسى وأتعلم أن تنجح في سنى الإفادة من هذا الوقت لإتقان العزف على إحدى الآلات الموسيقية وقراءة العديد من الكتب والرسم والسفر دون تبعات سياسية .

الموقف الذي سيجده الأمير رضا سيختلف اختلافاً بيناً وما ورثه أبوه منذ

٣٦ عاماً . فإيران مستقلة وسوف تلتحق قريباً بمستوى الدول الصناعية . وليس من سبب يدعو إلى لنتنظر مثلاً انتظار أبوه قبل أن يتوج نفسه . ربما حدث هذا ونحن أحياء . وهنا ستكون سعادتي الكبرى . قدره مرسوم ولكنني أحب أن تغتار أختاه ويختار أخوه مهنة ليمارسوها خارج مهامهم كأعضاء في العائلة المالكة . وأن يصبحوا قادرين على الطيران بأجنحتهم هم ، فالتعلم يتغير وأنا واثقة أنهم إذا نضجوا فمن يرضيهم أن يكونوا أمراء فقط . وأعتقد أن هذا يرجع لشخصية كل منهم . ربما ساعدت بناتي بالزواج وتربية الأطفال . ولكنني أفضل إلى جانب الأنشطة البروتوكولية أن يشق كل منهم طريقه بنفسه .

أما عن أسلوب الحكم فأعتقد أنه ظل مناسباً لإيران حتى اليوم . ربما تغير النسق قليلاً كزيادة الصلة بين السلطة والمواطنين ، وحسن توزيع المسؤوليات . فالطريقة التي يدير بها الملك البلاد وخلق حزب جديد تهدفان إلى إشراك الشعب أكثر فأكثر في الحياة السياسية . وأمينتنا هي إرساء ديمقراطية حقيقية لانسحة مكررة من أية ديمقراطية في العالم لاتوافق أحلام الإيرانيين . الوطن اليوم في حاجة ماسة لملك . لسلطته ولذكائه ولزعামته . وكما أثبت التاريخ دائماً الملكية سوف تبقى دائماً مادام الوطن والشعب يريدونها ضرورية . ولا أستطيع أن أقول إلى متى ؟ وهل ستستمر كما استمرت ؟ ولكن إذا فكرنا بعمق وإيجابية وجدنا أن أكثر البلاد تقدماً في العالم هي الملكية . بنجيكا . السويد . النرويج . النمرك . لماذا ؟ لأنها تعرف استمرار السلالة الملكية . ونظامنا الحالي يعتمد أكثر مما ينبغي على الملك . وهذا هو ما يجب تغييره لأن الأفراد لا يصفطلعون بمسؤوليات كافية . بل هم كأطفال دلالهم آباؤهم دوماً فإذا احتنى الآباء ضاع الأبناء . وما يريده الملك حين يرحل هو أن تكون الدولة في وضع يمكنها من الاستمرار في التقدم . ولابد من وقت لبلوغ هذا . يوم لا ينجأ الوزراء لملك

عند أقل عقبة .

التفاصيل التي أتولاها لا يتخيلها إنسان . فأتا مثلاً يجب أن أوافق على رسم فندق جديد في شیراز وأعطى رأى في تنظيم الحمامات . وأيضاً أوافق صناديق القمامة في شهر ريع طهران . وهى مضبوطة بتوقيت والجهد والصيانة . أحياناً أقول لنفسى : إياها غطيتى لأننى يجب أن أقول فم أحيان تصرف . أتم في هذه المسألة لأننى لن أجهل .

وبدون توزيع حقيقى للأغذية من تركة ديمقراطية . أو على الأقل كم نعى هذه الكلمة .

بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا تعاد نفسها ديمقراطية . الاتحاد السوفيتى والدول الشرقية تسمى الجمهوريات الديمقراطية . ومع ذلك ليس بينها أى تشابه : فالديمقراطية تعنى أن يتسكن كل فرد من الإدلاء رأيه وأن يختار قدره وقدر وضعه وكما يقول الملك : المهم هم له ١١ فوق الـ ٥٠٠ الذى يكون الأغلبية .

وبران ستظل وقتاً طويلاً في حاجة للملك كشوة توحد الوطن وتحافظ على ترثه . وهذا أفضل : فإذا ماتت حصص مصر بعض الشعوب الأخرى . وجدناهم يوماً يستخون رئيساً واليوم التالى يغتال . فتقبض زمرة على مقاليد الحكم وبعدها بأسبوع يقع انقلاب . وأبدأ لا أجد أى محافظ وقتاً كافياً لمعرفة المشاكل على حقيقتها وتحقيق التقدم . واعتقد أن إيران بموقعها الجغرافى ستصير غوغاء رهبة بدون وجود ملك . وكل شيء بالنفع يتوقف على الإرادة الشعبية . فمن الصعب الإبقاء على نظام يرفضه الشعب . وإن كنت أرى أن من الخطأ إرساء الجمهورية في إيران . وعندما قاد والد الملك الانقلاب أراد إرساء الجمهورية . ولكن الرأى العام رفض القضاء على الملكية وأراده ملكاً . هذا

السبب نفسه لم تعرف إيران سوى قائدتين خلال خمسين عاماً مما أدى لاستقرارها وتقدمها . بالإضافة إلى هذا هناك صلة روحية فريدة بين الشعب والملك مثل تلك التي بين الأب وأبنائه . بالتأكيد من الأفضل أن يكون لإيران ملك صالح ولكن . حتى لو حدث للعكس فإن يستطيع أى حاكم أن يرتكب الأخطاء التي حدثت منذ ٤٠٠ سنة .

وهكذا على أية حال يعي شعبنا ملكيته . وهذا يظل دائماً المتعلق به . إن هذا « الأئمة » القومي ليس سرياً . فعلى أثر حدوث زلزال أرضي عنيف وجهت نداء لشعب من أجل مساعدة المنكوبين . وكانت الاستجابة أكثر من عظيمة . أسعدني شخصياً تكاتف الإيرانيين في مواجهة الخطر . حب كلُّ يشارك . أعطى رجال الصناعة مبالغ طائلة . لكن المنوعات الأعظم جاءت من أطفال أعضاء كل ما ادخروه . وعمل خلعوا ستراتهم المرفقة . يعطونه المنكوبين . وسيدة فقيرة تبرعت بوعاء مطبخ بل . ولكنه يمثل نصف ما تملكه في مطبخها !

هذا الكرم وهذا التضامن يؤكدان الثقة في المستقبل . وبطبيعة الأمر لم تستطع الحكومات تتبع الحضارة الحديثة . وقد روي في قصة بهذا المعنى : إذ عاد ذات يوم ممثل إيراني مشهور إلى بيته فوجده محطماً . لأنه أدى في فيلمه الأخير دور رجل قتل أمه . قد كان من بعض المشاهدين الذين خلصوا بين الحيات السبائى والواقع . إلا أن انطلقوا يتظاهرون أمام منزله للإعراب عن استنكارهم لجريته الشنعاء .

وهذا أمر طبيعي . لأن لتصور اليوم يتجاوز إدراك عقوبة المتوسطة : في أوائل القرن مثلاً كان كلُّ يعرف كيف تسير عربة حتى تجرّها الخيول ؟ أم اليوم فكيف من المسافرين على الطائرات يذكرون مدهية القوة التي تدفعها في ذم ؟

وعسوماً مثل هذه الأمور تحدث في كل مكان : فعندما كان يجري تصوير فيلم « أطول يوم في نورماندي » رفض الممثلون الفرنسيون ارتداء الزي العسكري الألماني . كل هذا غاية في الإنسانية ولا يشكل أى خطورة .

إن إفساح المجال لدفعة أكبر من الثقافة ، وتعميم التعليم ، إذا عرفت كيف تنظر مع الأحداث القادران خلال جيل واحد على تخطي كل الحواجز ، وعلى أى حال فإن إيران تمضي إلى الأمام بثبات .

أقصى ما يؤلمني في تلك اللحظة هو سمعة إيران السيئة في الخارج ، تلك لدعاية الظلمة التي تحاك ضدنا حول المعتنقين السياسيين والتعذيب ، من المنفر أن يتحمسوا هكذا ضد دولة ونظامها ، تلك الاتهامات البشعة التي تنطلق ضدنا لتصلح من حادث ناهه كارثة مدمرة !

وبعكس ما يقال الكثيرون ليس في الحياة شيء مبسر ، حتى للملكة ذاتها . فأنا دائماً مشغولة . أعمل كثيراً أحياناً بطاقة هائلة وسعادة وحاس بالعين . ولكن هناك تلك اللحظات التي أشعر فيها بالتعب والإنهاك . ونعيم على الكتابة لشعوري بالقيم . ويصورني حزني أنها نهاية العالم . ولكن سرعان ما تغلب على أحزاني عندما أفكر في التقدم الهائل الذي حققناه وأقول لنفسى :

« قريباً جداً لن يستطيع أحد أن يتظاهر بأنه لا يراه . وسوف يتغير حتماً سلوك المثقفين الغربيين تجاهنا » .

أحدث كثيراً عن فلسفة خاصة أنمى أن تشمل كل حياتي . وأقصد بها الإيمان . ولكن في بعض الأحيان أقول لنفسى ربما كان ذلك متيسراً لي . لأن لدى الإمكانيات المادية التي توفر لي ما أريده . لهذا أحاول دائماً أن أنسى من

أكون ؟ وأضع نفسي في موقف زوجين شاوين لابل كسيان إلا القليل لأرى إذا ما كنت أفعَل مثلاً يفعلان في ظروفها ؟

هل الناس على حق إذ يقتلون أنفسهم من أجل مزيد من المال . أو من أجل شراء منزل ثم منزل آخر . وسيارة ثم سيارة أخرى ؟
أظن أن إجابتي واحدة حتى لو كانت ظروفى أكثر تواضعاً .
وسواء كان ذلك لدوافع إنسانية أو لشدة تدينى فمن واجبي أيضاً العند والمغفرة والنسيان وخدمة الآخرين .

لو كان رد الفعل الأول في حالة الإهانة هو رد الضربة بضربة مماثلة لئيسرلى الانتقام والإيذاء بحكم موقعى . ولكن الأهم في رأى هو الامتناع عن ذلك مادمت أمتلك السلطة .

والحقيقة أن خير نماذج للإنسانية أجدها في الشعب : فهناك أناس ببساطة تعاملهم وقوة شخصيتهم . يبعثون في نفسى الشجاعة والأمل في البشرية .
وأحتفظ بذكرى قريبة يوم ذهبت متخفية إلى حى نجوب طهران يعانى من وجوده خارج حدود المدينة حيث يخطر البناء ، إلا أن الأهالى شيدوا منازل ثم بعد أن هدمتها البلدية أعادوا بناءها ليلاً بالمطوب الأحمر وأحاطوها بخيام من البلاستيك . وبقوا فيها برغم قسوة الظروف . ولما ذهبت أستطاع الأمر بنفسى بعد أن تلقيت عدة تقارير عن المشكلة -- قابلت امرأة تغسل ملابسها في الفناء ودون أن تتعرف على بادرتنى قائلة :
« تفضلى نشرب الشاي لأريك منزلى » .

هذه البساطة وطيبة القلب وكرم الضيافة برغم الفقر هي ما أحبه أكثر من أى شيء في العالم . وأنا شديدة الإعجاب بهم أكثر من كل ساسة العالم .
ومكانهم في قلبى يأتى في مرتبة المفكرين والفلاسفة الذين يبحثون عن الجمال

والثقافة والوجود ومستقبل العالم .

من أنا إذا ما قورنت بهم ؟

أحياناً أحضر حفلاً موسيقياً ، أو أذهب إلى الأستاذ . فيستقبلنا الحاضرون بالحنف والتصفيق ويكون رد فعل الأول هو رد نخيتهم والتوبيخ بيدي . وهنا أقول لنفسي : إذا أفرطت في التوبيخ فعلى ذلك أنني أبلغ في أهميتي . لأن التصفيق يأتي بحكم عملي ومكانتي . لهذا أبادر بالجلوس دون المبالغة في رد التحية .

ثم أعود فأسأل نفسي : ولكن ربما ظن الحاضرون أنني أتعالى عليهم ولا أكرث بهم . على حين أن تصفيقهم المتواصل هو الذي يشعرني بالخروج البالغ والحجل . ولكن بالرغم من ذلك يجب أن أurd على نخيتهم فلن يتصور أحد أنه حياء !

انشعور نفسي يتأهب في أثناء زيارتي للقري . لأنني أعرف أن الكثيرين يريدون رؤيتي . فأقول لنفسي : إذا بقيت جالسة في السيارة فلن يراني من هم في الصف الأخير . وسيشعرون بأنهم جاءوا بلا جدوى . هذا أظل واقفة في السيارة .

هنا أيضاً يتنازعني الشعور نفسه بإضفاء مزيد من الأهمية على نفسي مما يشعرني بالخروج . على حين أنني واثقة أن رؤيتي تسعدهم ومن أجلها وقفوا الساعة .

إن جوهرنا يبقى كما هو : فالألقاب لا تغير ما بداخلك : بالنسبة للشعب أنا الإمبراطورة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان . أما بيني وبين نفسي فأنا الإنسانية الأولى نفسها . ومع كل مظاهر الاحترام . وما أناله من تكريم . لا أحس بالأهمية .

أحياناً تسافر إلى أوروبا للترحُّل على الجليد دون أن بتعرف علينا أحد حيث نحيا كسائر البشر . وأنا أهوى تلك الحياة وذلك التغيير المتمثل في أداء أبسط الأشياء كالسير في الشوارع أو ارتياد مطعم أو دخول متجر . حتى إنني اعتاد الوضع بعد فترة فأنتسى من أكون ؟ فإذا ما نظر إلى أحدهم تساءلت عن السبب .

حينئذ دائماً صديقتي وأمي وزوجي وخالتي التي أبوح لها بالكثير من أسراري إلا أننا دائماً بمفردنا أمام المشاكل الكبرى . ويجب دائماً ألا أنسى أنني ملكة . وإذا كانت لي كل هذه الأسرار فلا أستطيع أن أبوح بكل أسراري لأحد . ولكن قدر ضئيل هذا وقدر ضئيل لذلك . وهذا هو كل ما أستطيع أن أبوح به من نفسي من حين . كما يؤمنني أحياناً شعوري بأنني دائماً مراقبة . فأقل حركة وأقل كنسة وكل ما أفعله وكل ما أقوله يراقب ويحلل ويسجل ويصور . كما لو كانت حياتنا تمضي تحت الكاميرات وأفتقد الأيام التي لم يكن يعرفني فيها أحد . ولقد حاولت أن أعطي كل ما أستطيع إعطائه . ذكائي . حتى ، حيويتي .. كل ما أحسه داخل داخل حاولت أن أعبر عنه . وقد نلت قدرى من الحياة بحسائه ومساوئه وقت بالكثير حتى إنني في سن الثامنة والثلاثين أشعر أنني في الستين .. إذا كنت قد نجحت أو أعطيت وطني شيئاً فهذا حسن . فلم أكن أستطيع تقديم المزيد لأنني لا أملك إلا القدرات التي منحها لي الطبيعة : الناحية الإيجابية حاولت أن أزيدها والسلبية حاولت أن أقبل منها .

ومن الناحية الأخلاقية الشخصية طموحي الوحيد هو الوصول حتى آخر حد من الفضائل التي أمتلكها كسائر البشر والتقضاء على العيوب التي كبتية البشر وأنضع إلى لبوم الذي أشعر فيه بالسكينة مع نفسي . هذا يجب مضاعفة العمل وركوب الصعب . وهذا لا يتأتى إلا شيئاً فشيئاً وخطوة فخطوة تصعد درجة

ونقع درجتين ، ولكن يجب أن نهض لنكمل الطريق .
لقد حظيت بأرفع مكان ونلت النجاح والشعبية والمال الذي أردته
والملابس والمجوهرات والرحلات الكبيرة .
ولكن كل هذا لا يهم عندما تكون مستولاً عن الكثير . وعندما يكون
تقدمك مرتبطاً بتقدم وطنك - إن واجبك أن تعيش كإنسان حقيقي فلا تترك
الحياة تحتويك وتسحقك وتقضي عليك ونذلك !
وسعادتي ليست في امتلاك كل ما أريد لأنني لا أستطيع أن أقول :
« اليوم أصبح لي كل هذا وهو يكفي » فبعد كل همومي الشخصية هناك
طموحى تجاه الوطن ، ثم قلتي على العالم مع وجود القنبلة الذرية والمجاعات
والكوارث والحروب . هل سنعرف يوماً كوكب الأرض السعيد الذى يعيش فيه
الجميع فى سلام ؟
حياتي تمر هكذا ولا ينتهى الأمر أبداً : فعندما أكف عن الانشغال بوطنى
والعلاقات الدولية أتساءل عن مصير أولادى : كيف ستكون حياتهم ؟ كيف
سيكون مستقبلى ؟ ومستقبل الملك ؟ ومستقبل الملكية ؟
وفى النهاية أقول لنفسى دائماً :
« بدلاً من القلق من المستقبل اعمل كل ما فى إمكانك وليكن بعد ذلك ما
يكون » !